مؤسسة
النهر الجاري
الوقفية

تاريخ الصلاة

إعداد
د. عثمان البِيلي

© حقوق النشر محفوظة لمؤسسة النهر الجاري الوقفية

تاريخ الصلاة

إعداد

د. عثمان البِيلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (٣)

أما بعـــد:

فإن الله قد امتن على عباده المؤمنين بما دلهم عليه من معرفته وشرح صدورهم للإيمان به والإخلاص بالتوحيد لربوبيته وخلع كل معبود سواه؛ فلا نعمة أعظم على المؤمنين بالله من نعمة الإيمان والخضوع له وتوحيده، ثم النعمة الأخرى ما افترض عليهم من الصلاة خضوعاً لجلاله وخشوعاً لعظمته وتواضعاً لكبريائه، ولم يفترض عليهم بعد توحيده والتصديق برسله وما جاء من عنده فريضة أعظم من الصلاة وأخبر أن ذلك أمره لهم وللأنبياء والأمم قبل أن يبعث مُحَمَّدا ﷺ.

وفي هذا البحث سنعرض لأهم المعالم التأريخية للصلاة في شرائع الأنبياء والمرسلين عموماً، ومن ثم استخلاص أهم الفوائد والعبر التي اشتملت عيها سيرتهم العطرة في عبادة الصلاة.

أهداف البحث :

١- بيان أهم المعالم التاريخية لشعيرة الصلاة في حياة الأنبياء والمرسلين، وأدلة ذلك من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: آية (١).

(٣) سورة الأحزاب: آية (٧٠-٧١).

٢- استخلاص بعض الفوائد العلمية والدروس التربوية من التسلسل التأريخي لواقع عبادة الصلاة في تاريخ البشرية.

أهمية البحث :

أولاً: يُعدُّ هذا البحث استجابةً لتوصية بعض المؤسسات الإسلامية[١] التي أنشئت بهدف تعظيم شعيرة الصلاة في نفوس المؤمنين وتوظيف أنواع الإمكانات للوصول إلى هذا الهدف النبيل.

ثانياً: يكتسب هذا البحث أهميته من جهة جمعه لما تفرَّق في عدد من المصادر عن تأريخ الصلاة في حياة الأنبياء والمرسلين وأقوامهم بصورة موجزة ولغة سهلة.

منهج البحث : نظراً لطبيعة البحث فإن الباحث سوف يستخدم المنهج الوصفي التحليلي من أجل تحليل النصوص والأحداث[٢].

خطة البحث: تتكون من : مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

المبحث الأول: تاريخ الصلاة لدى الأنبياء السابقين

المبحث الثاني :تاريخ الصلاة في عهد خاتم النبيين

المبحث الثالث: فوائد في تاريخ في الصلاة

وهذا أوان الشروع في المقصود ، وبالله الاستعانة وعليه التكلان.

المبحث الأول: تاريخ الصلاة لدى الأنبياء السابقين

إذا نظرنا إلى هذه الفريضة العظيمة وجدنا أنها تتبوأ مكانةً عظيمةً في الإسلام وفي كل الرسالات، فإنه ما من نبي بعث ولا رسالة نزلت إلا وفيها الأمر بإقامة الصلاة كما فيها الأمر بتوحيد الله عزوجل ، فهي عبادة مشتركة لجميع أمم الأرض التي بلغها الوحي منذ أول الأنبياء إلى خاتمهم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم؛ ومما يدل على ذلك ما جاء في سورة الأنبياء بعد سرد قصص جمعٍ منهم -عليهم الصلاة والسلام- ذكر سبحانه أنه أوحى إليهم فيما أوحى إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة؛ يقول عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ وهكذا كانت عبادة الصلاة حاضرة في حياة جميع الأنبياء

---

(١) والمقصود بها (النهر الجاري).

(٢) هو المنهج الذي يقوم على وصف، وتحليل ما حصل عليه الباحث من معلومات، تحليلاً كمياً، أو تحليلاً كيفياً.

والمرسلين وسيرتهم وهديهم؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾، والأمر للأنبياء بالصلاة يظل حاضراً ودائماً فهي مقترنة بالإيمان وأمارةٌ عليه قال جل وعلا: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾﴾، وأنبياء الله ورسله هم صفوة الناس وأولى من يوصف بقوله سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ وبقوله سبحانه﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ وبقوله أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ وحين فرضت الصلاة على مُحَمَّد ﷺ جاءه جبريل عليه السلام فعلَّمه مواقيتها وقال له: "هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك". وكان للأنبياء السابقين أماكن خاصة للصلاة لا يجاوزونها؛ قال رسول الله ﷺ :"أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي من الأنبياء: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ولم يكن أحد من الأنبياء يصلي حتى يبلغ محرابه". ومنذ عهد أبينا آدم عليه السلام حين أهبطه الله إلى الأرض؛ فإن عدوَّه وعدو ذريته من بعده إبليس –الذي كان سبباً في إخراجه من الجنة– يحرص على صدِّ بني آدم عنها؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾وهذا خليل الله إبراهيم يضع أساس بيت الله العتيق الذي هو قبلة الصلاة ثم يدعو ربه فيقول : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾، ويدعو لذريته فيقول :﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾ وهذا ابنه إسماعيل يخبر الله عنه بقوله :﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾وهذا موسى الكليم يؤمر بإقامة الصلاة؛

قال سبحانه : ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ ، والأمر بالصلاة يشمله وأخاه هارون وقومهما من بني إسرائيل؛ يقول جل وعلا: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾ وهذا يعقوب عليه السلام –وهو إسرائيل– يأمر الله بنيه فيقول :﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ ،, وداود عليه السلام كان هديه الصلاة وقيام الليل؛ قال عليه الصلاة والسلام: " وأحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثُلثه وينام سُدسه"[1]، وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن الحسن ﷺ قال :" إن سليمان عليه السلام لما شغلته الخيل فاتته صلاة العصر غضِب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها وأسرع: الريح تجري بأمره كيف شاء فكان غدوها شهرا ورواحها شهرا" .وأخرج ابن عساكر عن الأحنف ﷺ :" أن شعيباً عليه السلام كان أكثر الأنبياء صلاة "[2]؛ ولكثرة صلاته قال له قومه حين أمرهم بالتوحيد ونهاهم عن التطفيف:﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ ، وقال الله في قصة يونس عليه السلام حين التقمه الحوت : ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ قال ابن عباس ﷺ:" من المصلّين "،وجاء في قصة زكريا عليه السلام ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾ ، وهكذا كان عيسى ابن مريم عليه السلام كان من أهل الصلاة: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾ وهكذا كانت أمه مريم عليها السلام فقد أمرها الله بدوام الصلاة فقال جل وعلا: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾، وهذا لقمان الحكيم يأمر ولده بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾.

---

(١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٣ / ٣٢٨).

(٢) الدر المنثور (٨ / ١٢٧).

فتبين من هذا الاستعراض المختصر لحال الأنبياء مع الصلاة عظيم شأنها عندهم وحرصهم على أدائها واشتهارهم بذلك بين أقوامهم.

المبحث الثاني :تاريخ الصلاة في عهد خاتم النبيين

إن الصلاة في عهد خاتم الأنبياء والمرسلين لها الشأن الأعظم والمقام الأكرم؛ فهي في شريعته ﷺ الركن الثاني للإسلام، وعموده الذي لا يقوم الدين إلا به، وهي مفزعه عند الملمات والخطوب وهي قُرَّة عينِه ومنتهى سلواه، وهي آخر وصاياه عليه الصلاة والسلام وهو يغادر الدنيا.

وقد جاء فرض الصوات الخمس في حادثة الإسراء والمعراج العظيمة ، فعن أنس بن مالك قال كان أبو ذر–رضي الله عنهما– يحدث أن رسول الله ﷺ قال:" فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي مُحَمَّد ﷺ قال فأرسل إليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم ﷺ وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح قال فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح.... قال رسول الله ﷺ :ثم عُرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام... ففرض الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى عليه السلام ماذا فرض ربك على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى عليه السلام فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته قال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة

فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك" [1].ثم إن إمامة النبي ﷺ للأنبياء في الصلاة ببيت المقدس إحدى أكبر المعالم الواضحة في ارتباط الصلاة بجميع الأنبياء، ومن ثمَّ كان بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى إلى الصلاة. ولما رجع النبي ﷺ إلى مكة جاءه جبريل بمواقيت الصلاة على التفصيل؛ فعن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "أمَّني جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر حين مالت الشمس قدر الشراك وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثله، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم وصلى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، وصلى بي الغد الظهر حين كان ظل كل شيء مثله وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء حين مضى ثلث الليل، وصلى بي الغداة بعد ما أسفر ثم التفت إلي، فقال : يا مُحَمَّد : الوقت فيما بين هذين الوقتين هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك" [2].ومع تشابه أوقات الصلاة بين الأنبياء نجد تشابهاً في وصف أجزائها من الركوع والسجود، وحتى في وضع اليد اليمنى على اليسرى؛ فقد روى ابن حبان وغيره بسند صحيح مرفوعاً: "وكان يقول : "إنا معشر الأنبياء أُمرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة". ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وفيها كثير من اليهود اقتضت الحكمة الرشيدة أن تكون قبلة النبي ﷺ في الصلاة هي قبلة الأنبياء السابقين "بيت المقدس" فصلوا إلى تلك القبلة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم جاء النسخ لذلك وأُمر بالتوجه للبيت الحرام ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾. والصلاة هي وصيته في الدعوة فإنه ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تقدم على قومٍ أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم ." متفق عليه. وهو عليه الصلاة والسلام يُبين صفتها على التفصيل بقوله فيقول: "صلُّوا كما رأيتموني أصلي"، وبفعله حين صلى على المنبر ولما انتهى قال:" يا

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم.

(٢) صحيح ابن خزيمة (١ / ١٦٨).

أيها الناس إنما صنعتُ هذا لتأتموا بي ولتعلَّموا صلاتي" رواه مسلم. وقد صارت الصلاة هديه عليه الصلاة والسلام وهدي أصحابه –رضوان الله عليهم–وهي وصفهم في التوراة؛ فالله جل وعلا يقول: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ ومن حرص النبي عليه الصلاة والسلام عليها كان المنافقون في المدينة مع كفرهم الباطن يحرصون على أدائها ظاهرة أمام الناس كما قال سبحانه:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ ، والصلاة آخر وصايا النبي ﷺ وهو يودّع الدنيا حين يقول: « الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » رواه أبوداود بسند صحيح.

المبحث الثالث: فوائد تاريخية في الصلاة

يظهر جلياً مما سبق أن شعيرة الصلاة كانت أعظم العبادات ظهوراً في تاريخ البشرية الذي ارتبط بسيرة الأنبياء والمرسلين منذ آدم عليه السلام وحتى خاتمهم عليه الصلاة والسلام، وفي هذا التشريع العظيم للصلاة واستمرار التأكيد عليها قولاً وفعلاً من الرسل الكرام –صوات الله وسلامه عليهم– ما يدل على فوائد عظيمة جليلة من أهمها:

أولاً: أن الصلاة هي أعظم شرائع الدين ومبانيه العظام بعد التوحيد، فهي قرينة الإيمان والدليل عليه، وهي عمود الإسلام –الذي هو دين الأنبياء جميعاً– والفارقة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والطغيان، وهي وصية الأنبياء والمرسلين لأبنائهم وأقوامهم.

ثانياً: تكاد صفة صلاة الأنبياء والمرسلين تكون متقاربة، فوقتها واحد كما جاء في حديث جبريل عليه السلام السابق، وتكرار أعمالها من الركوع والسجود والقنوت والدعاء مما يؤكد التشابه فيها بما يجعلها محل اتفاق في صفة أدائها جملة، وهذا كله يدل على عظمة الصلاة وحضورها اليومي الواضح في شرائع الأنبياء جميعاً.

ثالثاً: إن الصلاة كانت وستظل علامةً على الصلاح والخير والفلاح في الدنيا والآخرة، فالمصلُّون على خير عظيم لأنهم أقاموا أعظم شعائر الدين العملية؛ ويظهر هذا جلياً من امتداح الله لأنبيائه ورُسله

بإقامتهم للصلاة ومحافظتهم عليها بكرةً وعشياً، فالصالحون من أهل السماء وهم الملائكة ما بين راكع وساجد؛ ففي الحديث :"أطَّت السماء، وحُقَّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَك واضعٌ جبهته لله تعالى ساجداً"[1]، والصالحون من أهل الأرض وهم الأنبياء وأتباعهم محافظون عليها حريصون على تعظيمها والوصية بها، وخصوصاً خاتمهم عليه الصلاة والسلام، وهكذا أصحابه رضوان الله عليهم الذين هم صفوة أتباع الرسل وأعظمهم قدراً وفضلاً، حتى قال عمر بن الخطاب ﷺ : "أما إنه لا حظ في الإسلام لمن أضاع الصلاة"، وعند الترمذي من قول عبد الله بن شقيق والحاكم من قول أبي هريرة : "لم يكن أصحاب مُحَمَّد ﷺ، يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر، غير الصلاة"، وهكذا كان السلف الصالحون بعد الصحابة؛ حتى صارت الصلاة دليلاً يمتحن به إيمان المرء وقوة ديانته، فقد روي أن علماء الحديث كانوا لا يأخذون الرواية عن رجل حتى ينظروا إلى صلاته، فإن أحسن الصلاة كتبوا عنه وإلا تركوه.

رابعاً: إن الصلاة في شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين قد نالت مزيد العناية والتأكيد على إقامتها؛ وقد تضافرت بذلك آيات الكتاب العزيز وأحاديث السنة النبوية المطهرة؛ وقد نالت من الخصوصية ما لم يكن في شأن الأنبياء السابقين؛ ومن ذلك خصوصيته عليه الصلاة والسلام على الأنبياء بقوله: "جُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا". وأخرج أبو داود والبيهقي عن معاذ بن جبل قال: أخَّر رسول الله ﷺ صلاة العتمة ليلة حتى ظنَّ الظان أن قد صلى، ثم خرج فقال:" أعتموا بهذه الصلاة؛ فإنكم فُضِّلتم بها على سائر الأمم ولم تُصلِّها أمةٌ قبلكم"، وجاء في خصائصه عليه الصلاة والسلام هو وأمته الخاتمة في شأن الصلاة الاختصاص بالجمعة والتأمين واستقبال الكعبة والصف في الصلاة كصف الملائكة.

خامساً: تاريخ الصلاة قديمٌ يضرب بجذوره في عمق التاريخ، وهو تاريخ مرتبط بسيرة خير البرية وأزكى البشرية أنبياء الله ورُسله –صلوات الله وسلامه عليهم– وحين يتقادم العهد وتندرس معالم النبوة وتقترب الساعة ويبتعد الناس في آخر الزمان عن الدين تكون الصلاة هي آخر العبادات التي تُرفع من الأمة؛ لتكون بذلك إيذاناً بقرب نهاية العالم وقيام الساعة؛ فقد روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: " أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخره الصلاة "[2].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم، وحسنه الألباني.

(٢) السلسلة الصحيحة (٤ / ٢٣٨).

وفي الختام فهذه هي الصلاة، وهذه إطلالة سريعة على تاريخها المشرق وحلقاتها الوضاءة مع صفوة البشر الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فدونك أيها المسلم هذه العبادة الجليلة فاعرف حقَّها وقدرها، واعلم أنك أول ما تُسأل يوم القيامة عنها؛ قال ابن القيم رحمه الله:" للعبد بين يدي الله موقفان موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحقِّ الموقف الأول هُوِّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقَّه شُدِّد عليه ذلك الموقف؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾(١).

(١) الفوائد لابن القيم: ص٢٠٠.